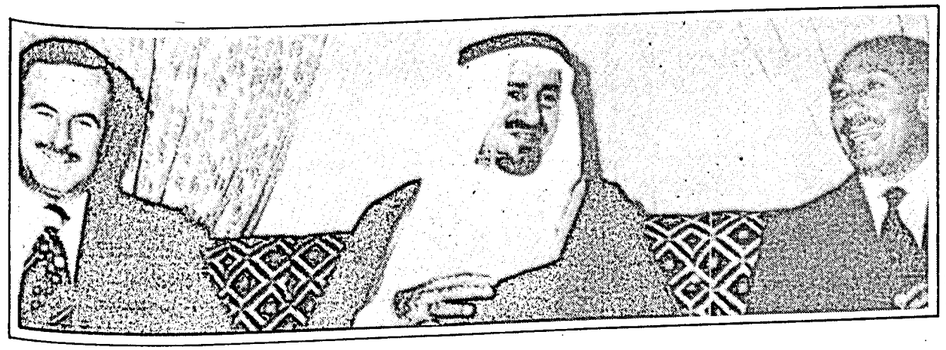

السادات الاسد وخالد : بديل للمنظمة او تطويع ؟

قيادة منظمة التحرير :

بين التطويع والتبديل

هدأت الضجة ، وخفتت حماسة اصحاب الدعوة الاساسيين لعقد قمة عربية ، وبدأوا يتململون منها باتجاه عقد قمه مصغرة ، هوية الحضور فيها محددة . وبدا واضحا ان الرجعية العربية عندما قالت بضرورة عقد قمة عربية لم تكن جادة في الاصل .

ان حجة الخلافات العربية الكثيرة من شأنها حرمان الازمة اللبنانية عن الاهتمام والتركيز الذي تستحقه ، ليست هي السبب في تراجع الرجعية العربية الى تفضيل القمة المصغرة ، بل السبب هو ان هذه الخلافات التي ستجعل من القمة العربية لقاء عاصفا بين اطراف عديدة ستحرم قيادة الرجعية العربية من فرصة قطف ثمار الشلل الذي اصاب الدور السوري في لبنان،وتدارك مضاعفاته بتحرك يمنع انفلات زمام الامور من يدها ، وعلى مستوى يضمن القدرة على تحقيق اغراض المخطط التصفوي الذي لم تستطع سوريا اتمامه بالوجه المطلوب .

وكانت سوريا قد عززت هذا التخوف عندما الحت ضمنا الى اللعبة التي تستعد لممارستها في القمة العربية العتيدة . ففي البرقية التي وجهها وزير خارجيتها خدام الى امين عام الجامعة العربية ليبلغه فيها موافقتها على حضور القمة العربية ، قال صراحة ان دمشق تتوقع ان يعقد المؤتمر « لبحث الوضع العربي العام وخاصة الوضع اللبناني » .

● اللعبة السورية

ان الطلب السوري ببحث القمة المقترحة للوضع العربي وعدم اقتصاره على قضية لبنان وحدها ، اشار الى نية حكام دمشق بتلبس القناع الوطني هناك ، والقيام بلعبة منع التركيز التام على قضية لبنان ، وتحديدا ، قضية تدخلهم العسكري المتآمر، وذلك من خلال اثارة قضية اتفاقية سيناء ، وطرح دفاعهم المعروف ، والقائل بان احداث لبنان قد اشعلت بهدف صرف النظر عن هذه الاتفاقية الخيانية ، وبان « المبادرة السورية » هي محاولة « التصدي » لهذه المؤامرة و « انقاذ » لبنان من الاحتراق ...

وحكام دمشق يدركون جيدا انهم بهذه اللعبة التي اعدوها للقمة العتيدة ، سيكون في وسعهم استفزاز مصر الى موقع دفاعي ، وبالتالي اثارة مناقشات حادة تكون صورة طبق الاصل عن الحملات الاعلامية المتبادلة بينهما .

وان هذا يتكفل بمنع التركيز على الوضع المتفجر في لبنان ودورهم العسكري الرئيسي في استمرار الحرب فيه وفي دفعها نحو المزيد من الاتساع والتصعيد .

ومما يؤكد هذا الاستعداد السوري للقمة العربية المقترحة ، ان الصحافة السورية قد دأبت في الفترة الاخيرة على تشديد حملة الهجوم على السياسة المصرية عامة واتفاقية سيناء ، وعلى الرئيس المصري بالذات ، والى درجة اتهامها له بالخيانة ، وتحميله مسؤولية المؤامرة الدموية في لبنان ، في محاولة خائبة لادعاء وطنية الحكم السوري وتبرئته من الدور التآمري الرئيسي الذي يلعبه في لبنان ، والذي يسير في ذات اتجاه السياسة المصرية لصالح مخططات الامبريالية الاميركية للمنطقة .

● تنازع على فرس الرهان

طبعا دمشق كانت تعد هذه العدة لمؤتمر القمة المقترح وتراهن على نجاح لعبتها من اجل استحصال تجديد للتغطية العربية يكون بمثابة تسليم عربي ضمني باعتماد ما يسمى بالمبادرة السورية في لبنان ، حتى تتمكن من مواصلة دورها في المخطط التصفوي ليس فقط من دون ضغوط ومضايقات عربية معيقة ومزعجة ، بل وبمساندة عربية تساعد « مبادرتها » في الخروج من الحالة التي هي عليها الان هنا ، في لبنان .

ولهذا السبب فان محور مصر ـ السعودية عندما وجه الدعوة لقمة عربية بشأن لبنان ، راهن على فشل الدعوة في استحصال الاجماع العربي ، وكان يضمر في الاساس عقد قمة مصغرة في الرياض تضمه مع سوريا ، تسبق القمة العربية او تستعيض عنها باجهاض مبررات الدعوة الى عقدها . فكل من مصر والسعودية لاسباب مشتركة ومنفردة ، ترغبان في تجنب قمة عربية تغرق في قضايا الخلافات العربية وتمكن اللعبة السورية من احراز النجاح ، لتصميمها على قطف ثمار حاجة سوريا الى رفع الضغوط عنها والى تغطية عربية مساندة تعترف بان مفتاح الحسم الرجعي المطلوب في لبنان ، يكمن في دمشق .

هذا لا يعني ان هناك خلافات اساسية بين الانظمة الرجعية والمستسلمة في الموقف من مخطط تصفية او تحجيم الثورة الفلسطينية ، وسحق الحركة الوطنية اللبنانية التي الفت حمل السلاح وتمرست على القتال . فمصالح هذه الانظمة متداخلة، وتصب في المجرى الاستسلامي في النهاية، ولكن مخاوفها في لبنان متفاوتة كما ان طموحاتها متضاربة . وهذا التفاوت والتضارب هو الذي يحدد مدى بعد هذه الانظمة ، خاصة السعودية ومصر ، عن الدور السوري المتآمر في لبنان .

وسواء عقد القمة المصغرة ام الموسعة ، فسيبقى الفارق في التفاصيل . فالصراع بين مصر وسوريا هو على قيادة المحاور ، وان كان النظامين يسيران في اتجاه واحد . والعربية السعودية لا يضايقها هذا الصراع او التضارب السوري ـ المصري الا من حيث تمكنها من السيطرة عليهما . ولهذا ورغم محور الرياض ـ القاهرة ، فان السعودية لم تتعامل مع الدور السوري بأي تضارب ظاهر .

موقف دمشق

بالنسبة لنظام دمشق ، فانه برغم كل المحاذير، كان متلهفا للحصول على نتائج من تدخله في لبنان، يمكنه من خلالها تثبيت قدرته على صنع محور قوي (سوريا ، الاردن ، لبنان قيادة بديلة لمنظمة التحرير الفلسطينية) يجعله فرس الرهان للامبريالية الاميركية ، ويعزز موقعه في صفقة التسوية الاستسلامية .

من هنا كان حرص حكام دمشق بان يكون لهم موطىء قدم نافذة في لبنان ، واخر في الاردن ، بلجم الحركة الوطنية الديمقراطية اللبنانية ، والمقاومة الفلسطينية لتصبح الشريك المرضى عنه.

اكثر من ذلك ، فان حكام دمشق يجابهون الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية بقوتهم العسكرية الغاشمة لان سوريا بحكم الجوار ، اكثر تأثرا مباشرة من اي بلد عربي اخر ، وبالتالي اكثر تخوفا ، من نمو واتساع القوى الديمقراطية الثورية في لبنان ، وبحاجة الى ايجاد البديل عن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية لتعزيز المحور الذي تطمح لقيادته ، خاصة وان ايجاد البديل يتفق مع مصلحة اسرائيل والولايات المتحدة والشريك الاردني .

فمؤتمر الرباط الذي اقر قبل سنتين ، بان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، لم يكن يقفل الباب نهائيا في وجه النظام الاردني ، خارج اطار التسوية الاميركية الاستسلامية الشاملة ـ وقد توهمت بعض قيادات المقاومة ذلك ، لتفاجأ من ثم بان الاردن يبقى ورقة ابتزاز للثورة الفلسطينية اذا ما تمردت على شروط التسوية . بل ويبقى البديل المسلط كالسيف على رأسها ، تهدد به باستمرار اذا رفضت ان تكون مطواعة للاتجاه الاستسلامي .

ولم يكن كلام الملك حسين في الفترة الاخيرة عن ضرورة ان يعيد العرب النظر بقرار مؤتمر الرباط بشأن تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني ، مجرد انعكاس لعدائه للمقاومة الفلسطينية ، وتمني لا يشاركه فيه احد من زعماء مؤتمر الرباط .

اللعبة السادات

ان السلوك السوري باتجاه ايجاد البديل الفلسطيني ، رغم ان الواقع القيادي الفلسطيني القائم ليس خارج لعبة التسوية ، هو الذي يفسر الهجوم المصري على الاردن الذي يجد فرصته في السعي السوري الى البديل الفلسطيني .

ان النظام المصري في طموحه لقيادة محور عربي يمكنه من ان يكون فرس الرهان الاميركي في المنطقة ، يرى في الطموح السوري المشابه تهديدا له . فمصر تطمح لان تكون متحكمة في القرار السياسي في تعاملها مع الامبريالية الاميركية . ولهذا فطموحها يتضارب مع طموح النظام السوري، وفي سعيها بالتالي الى تفشيل الدور السوري في لبنان ، تحرص على الظهور بمظهر الحريص على سلامة المقاومة الفلسطينية وأمنها ، والمؤيد لها ضد التآمر السوري .

ان النظام المصري الذي عقد اتفاقية سيناء المخزية ، واتخذ قرار السماح بمرور البضائع الاسرائيلية في قناة السويس ، والسائر في ركاب التسوية الاستسلامية والتصفوية لصراعنا مع اسرائيل وللقضية الفلسطينية ، ان هذا النظام يريد منظمة تحرير فلسطينية مطواعة تكون شريكا في التسوية .

والدور السوري المتآمر في لبنان يعطي نظام السادات فرصة طرح نفسه كالملجأ الذي تلجأ اليه منظمة التحرير من ضربات النظام السوري التصفوية ومن تآمره عليها في سعيه لاستبدالها كممثل لفلسطين. ولهذا تبدو مواقف النظام المصري متعارضة مع سوريا وخطة البديل الفلسطيني . كما انها تبدو بمظهر الحريص على الحركة الوطنية اللبنانية والمندد بالانعزاليين ، ضمن هذا التعارض مع الدور السوري ، ولانها وان كانت مسالة نمو واتساع الحركة الوطنية اللبنانية المسلحة والمقاتلة، تعنيها بقدر ما تعني الرجعية العربية ككل ، الا انها لا تعيش هذا الخطر الكامن بالقدر الذي يعيشه النظام السوري البوليسي السائر على طريق التسوية الاستسلامية .

● مشروع الرياض

وفي خضم هذا التضارب بين النظامين المصري والسوري ، ترى العربية السعودية فرصة اخرى لتحقيق طموحها بالهيمنة السياسية ، معتمدة على قدرتها المادية الضخمة ، وعلى حاجة كل من مصر وسوريا لمساعداتها التي تمنحها لهما بالقطارة .

ان الرياض تطمح في ان تكون الحوذي الذي يقود العربة التي يجرها الفرسان ، المصري والسوري. وهذا حافز مساعيها « الحميدة » الماضية والحالية لمصالحة دمشق والقاهرة . فهي لا ترى ضررا كبيرا من الصراع السوري ـ المصري،بل تحاول استغلاله لايجاد نقطة التقاء بينهما ، برعايتها للتحكم بالطرفين . وهي تتعمد الشحة في مساعداتها لهما لتحقق مقابل كل حفنة دولارات ، المزيد من النفوذ السياسي .

وتفضيلها لقمة مصغرة في الرياض تجمعها مع مصر وسوريا ـ تسبق او تكون البديل للقمة العربية المقترحة ـ يعود الى رغبتها في تحقيق التوفيق بينهما لصالح مشروع « الحوذي السعودي » ، ولتحريك الدور العربي في لبنان واعطائه فرصة النجاح .

فالسعودية خاصة ، تشعر الى جانب الولايات المتحدة ، ان سوريا لم تقم بدورها كما يجب في لبنان . فقد عجزت عن الحسم السريع بحيث طالت الحرب الى درجة اصبح الوقت في صالح الحركة الوطنية الديمقراطية المسلحة ، من حيث امكانية قيام عملية فرز تتخلص من كافة الحالات المسترهلة والمتذبذبة لصالح القوى الثورية . وكان هذا التخوف من ابرز ما عبر عنه المبعوث الاميركي دين براون في حديثه الهام الذي نشر هذا الاسبوع .

هذه الحقيقة تكمن وراء الرغبة في عقد القمة المصغرة في الرياض . فقد رأت واشنطن ان الوقت قد حان بعد الاداة السورية ، لتحريك الادوات الرجعية العربية لتدارك الموقف في لبنان ، بعد الارتباك والتخبط الذي اصاب الاداة السورية . وتحاول الرياض مع مصر ، استغلال حاجة سوريا للخروج من هذه الحالة التي تفجر لحكام دمشق مضاعفات داخلية خطيرة متزايدة ، لجر الحصان السوري الى عربة « الحوذي السعودي » ولمحاولة انقاذ المخطط التصفوي الاميركي في لبنان .

وتستعد الرجعية العربية بزعامة الرياض ، لاطلاق الدور العربي الجديد في لبنان . والتحرك الذي بدت منذ الان خطوطه العريضة ينطلق من حد ادنى تلتقي عليه الانظمة الرجعية والمستسلمة : دعم التجمع الاسلامي كبديل للحركة الوطنية اللبنانية (وقد انتقدت صحف الرياض كمال جنبلاط للمرة الاولى ، هذا الاسبوع) ، وطرح تنفيذ اتفاقية القاهرة حرفيا ، بحيث تصبح القضية قضية لاجئين فلسطينيين وتدجن المقاومة الفلسطينية الى درجة ان تصبح اداة طيعة والشريك الفلسطيني « القنوع » تمهيدا للتسوية الاميركية الشاملة في المنطقة العربية . فنزع « اللغم الفلسطيني » شرط اساسي في الخطة الاميركية لتحقيق التسوية الاستسلامية الشاملة التي يتوقع ان يبدأ قطارها بالتحرك في السنة القادمة نحو المحطة التالية .

■■